إلى أحبتي مدرسي الحلقات (ج٣)[1]

٩/ ٤/ ١٤٣٧هـ

استوقفتني كثيرًا في ترجمة الشيخ المقرئ طفيل بن محمد بن عبدالرحمن الإشبيلي؛ مقولة الأبّار فيه حيث يقول: «كان مجودًا ضابطًا عارفًا، أدَّب بالقرآن، وطال عمره، وأخذ عنه الآباء والأبناء»[2]، فتأمل قوله: «أدّب بالقرآن». الله أكبر! كم نحن في حاجة إلى هذا النوع من المعلّمين الذين يؤدّبون بالقرآن، بعد أن تأدَّبوا به وبأخلاقه، وصار القرآنُ يصوغ حياتهم وسلوكَهم وتصرفاتهم، فاختصروا بذلك مسافات طويلة على المتلقي عنهم، والسامع لتوجيهاتهم، وكأن صفتَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن خلق نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن»[3] ماثلةً أمام أعينهم، يرقبون الله في أنفسٍ طاهرةٍ أجلسها الله بين أيديهم لتتلقى عنهم القرآن.

وإن من أهمّ المعاني التي ينبغي استصحابها في مسيرك هذا: أنك في وظيفتك هذه تخدم دينَك، وتتشرف بوسام النبوة الشريف: «**خيركم من**

(١) أشرتُ في المقال السابق (ج٢) إلى أهمية زاد الصبر لمن سلك هذا الطريق، وأكمل في هذا الجزء بعض المعالم التي أراها مهمةً لمعلّم أشرف كلام في الوجود.

(٢) معرفة القراء الكبار، ص٥٧٨.

(٣) رواه مسلم (رقم٧٤٦).

تعلّم القرآن وعلّمه»[1]، ولستَ في مجرد وظيفة مادية، بل أنت في هذا متلبسٌ بالنصيحة لكتاب الله التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث تميم الداري المشهور: «**الدين النصيحة.. ولكتابه**»[2].

وحُبّك لطالبك ما تحبّه لنفسك؛ هو من صميم مبادئك التي تنطلق منها في تعليمك له، ولأن كان هذا حقًّا لكل مسلمٍ؛ فهو مع تلميذك أولى، يعينك على ذلك أن تتذكر يوم أن كنتَ طالبًا بين يدي شيخك وأستاذك قبل سنوات، مستشعرًا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٩٤]، ومتذكرًا قولَ نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه**»[3].

اجتَهِد ما استطعت -أخي مدرس القرآن- أن تضع بصمةً في كل طالبٍ أكرمَك الله بالجلوس بين يديك؛ يتذكرها لك في كبَرِه، ويدعو لك بسببها، وهذه البصمة تتنوع، فقد تكون نصيحة فردية -عند الحاجة لها دون إملال- وقد تكون هديةً، وقد تكون البصمةُ كلمةً تشجيعيةً يسمعها منك مباشرةً، أو ترفع بها صوتك ليسمعها زملاؤه، أو تُرْسِلُ لوالده -أو وليّ أمره- رسالةً تخبره فيها بجانبٍ من جوانب التميز لتلميذك، تفعلُ ذلك وأنت تتذكر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**نِعم الرجل عبدالله، لو كان يصلي من الليل**»[4]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوةٍ من الغزوات: «**كان خيرُ فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجّالتنا سلمة**»[5]،

(١) رواه البخاري (رقم٥٠٢٧).
(٢) رواه مسلم (رقم٥٥).
(٣) رواه البخاري (رقم١٣)، ومسلم (رقم٤٥).
(٤) رواه البخاري (رقم١١٢٢)، ومسلم (رقم٢٤٧٩).
(٥) رواه مسلم (رقم١٨٠٧).

وغيرها كثـير، ولا يخفى على لبيبٍ مثلك أهميـة الاعتدال في هذا المدح والتشجيع، فإنه إذا زاد عن حدّه فقَدَ الفائدة التربوية منه، بل ربما انعكس المقصود منه.

وأحـاذرك -أيها اللبيب- أشـدَّ الحذر من جرحِ مشـاعرِ تلميذك، خاصة أمـام زملائه، أو وليّ أمره؛ فإن هذا له أثـره الذي قد يبقى زمانًا طويلًا، وربما كان سـببًا في تركه الحلْقة، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد قيل قديمًا:

وقد يُرجَى لجرحِ السـيفِ بـرءٌ
ولا بـرءٌ لما جَـرَحَ اللِّسـانُ

ولتتنبه أخي المدرس: أن وسـائل التواصـل، والنت، والجوالات، والتلفـاز، والألعـاب الإلكترونيـة... إلخ قد غزت غالـب البيوت، وجذبت أكثر الأطفال؛ فلا بد أن يحرص المدرس على ابتكار الأسـاليب التعليمية التي تنافس تلك المغريات، أو تجاريها، ولا يجمد على الأساليب التقليديـة؛ حتى لا يحس الطالب أن وقت درس القرآن إنما هو سـجن ينتظر فك أسره بفارغ الصبر!

وفقكم الله أحبتي مدرسي الحلقات، وللحديث صلةٌ إن شاء الله.